Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (3): 30 Mar 2020
P: 95 - 112
ISSN: 2522- 3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (3): 30 مارس 2020 م
ص: 95 - 112

Moriscons and Inquisition in Spain (1492- 1614)

Mohammed Abdulhadi Al- Jazi

Hussein Raja Al.shogairat

Faculty of Arts || Hussein Bin Talal University || Jordan

Mahmoud Saleh Al- Rubaihat

Tafila Technical University || Jordan

Abstract: The Moricissue is one of the most sensitive topics in the study of the history of Arabs and Muslims in general, and of Morocco in particular. The tragedy of the Moriscans and the fall of Granada is a source of condemnation of the Arab conscience. They also call for the shame and shame of abandoning Muslims in this country, starting from the first day of the fall of Granada in the hands of the Spanish Christians in 1492.

Perhaps in this research we can take a brief look at the end of the Arab and Islamic presence in Andalusia during the period from the fall of Granada in 1492 until the final expulsion during the period 1614.

Keywords: Mauritian, Inquisition, Granada, Spain, Andalusia, Madinat

الموريسكيون ومحاكم التفتيش في إسبانيا (1492- 1614م)

محمد عبد الهادي الجازي

حسين رجا الشقيرات

كلية الآداب || جامعة الحسين بن طلال || الأردن

محمود صالح الربيحات

جامعة الطفيلة التقنية || الأردن

الملخص: يعد موضوع الموريسكيين من المواضيع الحساسة في دراسة تاريخ العرب والمسلمين بشكل عام، والمغرب الأقصى بشكل خاص، وإن مأساة الموريسكيين وسقوط غرناطة تبعث على تأنيب الضمير العربي، كما تدعو إلى الخجل والحسرة على تفريط المسلمين بهذه البلاد التي دام عز الإسلام بها قرابة ثمانية قرون من الزمان، حيث بدأ منذ اليوم الأول لسقوط غرناطة بيد النصارى الإسبان عام 1492م.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة إلقاء نظرة مختصرة لنهاية الوجود العربي والإسلامي في الأندلس خلال الفترة الممتدة من سقوط غرناطة (1492م) وحتى الطرد النهائي خلال الفترة (1614 -1609م)، وتشتت أهل الأندلس وتفرقهم في أرجاء المعمورة، والنهاية المحزنة لهم وهو اعلان عن نهاية وجودهم الإسلامي بحدود عام 1614م.

الكلمات المفتاحية: الموريسكيون، محاكم التفتيش، غرناطة، إسبانيا، الأندلس، المدجنين.

مقدمة:

لا تتوافر الكثير من المعلومات عن الفترة الأخيرة لحكم المسلمين للأندلس، فبعد وفاة السلطان سعد بن محمد بن يوسف النصري أواخر عام 868هـ/ 1463م. انقسم حكم الأندلس بين ولدية علي بن سعد المكنى أبا

الحسن ومحمد بن سعد المكنى أبي عبدالله الملقب بالزغل، وبسبب الخصومة بينهما انقسمت البلاد الأندلسية إلى شطرين: قسم يحكمه أبا الحسن وقاعدته مدينة غرناطة، وقسم يحكمه أبا عبدالله الزغل، وفي الوقت نفسة زادت قوة النصارى بالاتحاد وشن الغارات فسقطت المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى وخاصة بعد توحيد مملكتي قشتالة وارغون، وازداد الوضع سوءاً مع تعمق الخلافات بين أبي عبدالله الصغير وعمه أبي عبدالله الزغل، حيث استسلمت مالقة للنصارى، ومحاصرة غرناطة عام 1491م[1].

وقبل سقوط غرناطة حاضرة بلاد الأندلس سقطت المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى، وبحلول عام 1245م سقطت جميع البلاد الأندلسية باستثناء ولايتي غرناطة واشبيلية اللتان تشكّلا ربع بلاد الأندلس، وفي عام 1248م سقطت اشبيلية بدعم من ابن الأحمر حاكم غرناطة وتم تهجير مئات آلاف من السكان[2]. وعندما كانت تسقط المدن الأندلسية بيد النصارى هاجر الملوك إلى غرناطة والتي أصبحت ملجأً لكل مسلمي الأندلس، وبالرغم من ذلك بقيت غرناطة تصارع السقوط حتى عام 1492م، وكان من أسباب صمودها الصراع بين الممالك النصرانية خاصة بين قشتالة وارغون، حيث شكلت هاتين المملكتين خطراً على الأندلس عندما اتحدتا عام 1479م.

مشكلة الدراسة

تحاول الدراسة تسليط الضوء على موضوع الموريسكيون ومحاكم التفتيش في إسبانيا خلال فترة الدراسة وتحديدا في غرناطة، والدراسة معنية بالدرجة الأولى في الوقوف على معاناة الموريسكيون ودور محاكم التفتيش في صنع تلك المعاناة، وجاءت والدراسة معنية بالدرجة الأولى بالإجابة على جملة اسئلة تتعلق بالظروف التي عاشها الموريسكيون والعوامل التي قادت لإيجاد تلك الظروف، والوقوف على دور محاكم التفتيش في اضطهاد العنصر الاسلامي هناك.

منهجية الدراسة:

قامت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي في تتبع مصادر موضوع البحث، حيث اعتمد المنهج على الدراسة الوصفية للأوضاع التي عاشها المسلمون في إسبانيا في اعقاب ضعف دولتهم هناك، والمنهج التحليلي ومحاولة تحليل كثير من الروايات التي اوردتها المصادر حول ذلك، وصولا لإجابات للكثير من الأسئلة التي طرحتها الدراسة.

أولا- عوامل سقوط الأندلس ومعاهدة التسليم:

1- العوامل التي ادت إلى سقوط الأندلس:

قبل الحديث عن معاهدة تسليم غرناطة للإسبان، لا بد لنا من الوقوف على مجموعة من العوامل التي ساهمت في سقوط الأندلس بشكل عام، فتاريخياً أثرت الإقطاعات التي منحها الموحدون في تمزيق بلاد الأندلس، وتولى أمور المسلمين سلاطين اتصفوا بالضعف والانغماس في الملذات والترف والبذخ، وكان للحروب الصليبية التي دعمتها الكنيسة الكاثوليكية في روما والغرب بشكل عام دور في قيام حركة الاسترداد المسيحي لبلاد الأندلس، أضف

(1) بنمنصور، عبد الوهاب، الموريسكيون في الغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، الندوة الثانية، شفشاون-المغرب، 1421هـ/2000م.

(2) السرجاني، راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2011م، ص 62-64.

إلى ذلك الثورات الداخلية على الحكم الإسلامي في الأندلس كثورات قبائل الهلاليين[1]، وكذلك كانت عوامل الفرقة والتشرذم والموالاة للنصارى، وتولية أمور البلاد للسلاطين الضعفاء، وانتشار الجهل بالدّين وهي من أسباب سيطرة الإسبان[2]، إلا أن العامل الأخطر سبباً في ضياع البلاد هو الانقسام بين الممالك الإسلامية في الأندلس، فقد استقل في الأندلس عشرون والياً، وعبرّ عن ذلك ابن بحزم بقوله:" أن ذلك شكّل فضيحة لم يأتِ الدهر بمثلها". وفي بعض الفترات كان هناك أربعة رجال في كل من اشبيلية والجزيرة الخضراء ومالقة وسبتة، وكل واحد منهم لقبَ نفسه بأمير المؤمنين[3].

ويرى البعض أن من أسباب سقوط البلاد الأندلسية عدم التجانس بين مكونات المجتمع الأندلسي، فضلاً عن أثر العامل الجغرافي حيث الحواجز الطبيعية التي تمنع الترابط بين أجزاء البلاد الأندلسية، وكذلك سياسة الحكام المتقلبة والتنكيل بالرعية والبطش، والظلم، والفساد[4].

وبحلول عام 1248م فقد سقطت جميع البلاد الأندلسية باستثناء مملكة غرناطة التي تجمَّعَ فيها المسلمون من جميع المناطق الأندلسية والتي سقطت بيد النصارى، أما غرناطة فقد بقيت تصارع السقوط حتى عام 1492م[5]، فالمعاناة التي عاشها أهل الأندلس قديمة قدم الحروب الصليبية في المشرق، وخير دليل على ذلك رسائل التهديد بين لويس التاسع والملك الصالح الأيوبي، فقد ذكر لويس في إحدى رسائله للملك الصالح الأيوبي إذلالهم للمسلمين في جزائر الأندلس، وقتل الرجال وأسر النساء والصبيان[6].

وقد استطاع فرناندو الثاني[7] ملك نبره (نافارا) وارغون والملكة إيزابيلا[8] ملكة قشتالة، من انتزاع غرناطة من المسلمين عام 1492م وحلت النكبة بأهلها[9]، واستطاع الملكين فرض معاهدة التسليم على حاكم غرناطة أبا عبدالله الصغير[10]. والتي نصت على تسليم غرناطة للإسبان، ووقعت المعاهدة بتاريخ 21/محرم/897هـ الموافق 25/

(1) الشمري، يوسف كاظم جغيل، والجنابي، عامر عجاج، العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 13، ايلول 2013م، ص 493- 492.

(2) السرجاني، قصة الأندلس، ص 692 -693.

(3) مظهر، علي، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، 1947م، ص 14.

(4) أبو زيد، وديع، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط1، مكتبة نرجس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م، ص 322 -324.

(5) السرجاني، المصدر نفسه، ص 692 -693

(6) تاجر، جاك، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، ص 140 -141.

(7) فردناندو الثاني: (1452 -1516م) ملك اراغون وملك صقلية وفالنسيا وسردينيا ونافارا وبعد زواجه من إيزابيلا أصبح ملك لقشتالة أيضاً بصفته زوج للمكلة إيزابيلا ملكة قشتالة. أنظر الموقع: www.ar.m.wikipedia.org.

(8) إيزابيلا: 1451 -1504م. إيزابيلا دي سان اوريول ملكة قشتالة. انظر: جيد، أندريه، إيزابيلا، ترجمة: صبري فهمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1951، ص 45, 120, 159.

(9) مظهر، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، ص 13.

(10) أبي عبدالله الصغير: (1460 -1527م) محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف المستغني بالله من بني نصر أو بني الأحمر من قبيلة خزرج القحطانية، لقب بالغالب بالله ويعد آخر ملوك الأندلس حكم غرناطة خلال الفترة 1482 -1492م. انظر موقع قصة الإسلام: www.genealogics.org.

تشرين الثاني/ 1492م بين الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا وابو عبدالله الصغير ملك غرناطة[11]، وتضمنت المعاهدة (47) مادة، ثم ابرمت في نفس اليوم معاهده سريه تعد ملحقا لهذه المعاهدة تكونت من (16) مادة. وليس هناك اتفاق بين المصادر العربية والمصادر الإسبانية التي تتحدث عن عدد بنود هذه المعاهدة، فهناك اختلاف في شروط هذه المعاهدة واهم مضامينها التي صيغت بشكل يحفظ للمسلمين حقوقهم وحرياتهم في مختلف الجوانب[12]، وتشير بعض المصادر والمراجع التاريخية إلى أن المعاهدة تضمنت 57 مادة، وتشير المصادر العربية إلى أن المعاهدة تضمنت 67 مادة بينما تشير المصادر القشتالية (الإسبانية) إلى أن المعاهدة تضمنت 56 شرطاً[13].

2- بنود معاهدة التسليم:

وعلى أية حال، فقد اشتملت المعاهدة على بنود كثيرة نذكر أهمها: أن تُسلّم غرناطة وضواحيها للملكين الكاثوليكيين خلال مدة أقصاها 60 يوماً وتضمنت المعاهدة صيانة وحماية حرية المسلمين وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وأن يقدم الملك أبي عبد الله الصغير رهائن من أقاربه مقابل تسليم غرناطة وقصر الحمراء، ونصت المعاهدة على عدم مصادرة أموال المسلمين وأسلحتهم، وخيولهم، ولهم الحرية في الهجرة إلى المغرب أو البقاء فيها؛ أو بيع ممتلكاتهم على أن يوفر لهم الملكان الكاثوليكيان السفن لتقلهم مجاناً خلال فتره الثلاث سنوات القادمة. ونصت المعاهدة على عدم التدخل في العادات والتقاليد الإسلامية الخاصة باللباس والزواج وغيره، ولا يحق للملكين فرض ضرائب جديدة غير ضريبة العشر. ونصت أيضاً على أن يطلق المسلمون الأسرى النصارى لديهم وأن يحترم النصارى حرمة المساجد، وأن لا تولى أمور جباية الأموال لليهود، وأن يكون القضاء بين المسلمين وفق الشريعة الإسلامية، ويمنع دخول النصارى بيوت المسلمين إلا بإذنهم. كما تضمنت المعاهدة العفو عن الأسرى الثوار، وأن لا يكلف المسلمون بدفع ضرائب جديدة ولهم حريه العودة والعيش بسلام، وأن يتمتع الملك أبي عبد الله الصغير وحاشيته بهذه الحرية، ونصت المعاهدة على حرية التجارة مع بلاد الغرب دون ضرائب، وضمان الحرية الدينية في الزواج واعتناق النصرانية، ولا تسترجع الغنائم التي استولى عليها المسلمون سابقاً، وأن تدفع الإملاك الإسلامية والضرائب المتفق عليها في المعاهدة، وأن يعامل المسلمون بالحسنى والمحافظة على الامتيازات الممنوحة لهم، ويكون القضاء في المسائل التي تقع بين مسلم ونصراني بوجود قاضيين مسلم ونصراني، كما نصت المعاهدة على تسليم الرهائن والأسرى وفق جدول زمني محدد بحيث يسلم المسلمين الأسرى النصارى دون مقابل في المناطق تخضع لسلطه الملكين، وأخيراً يتعهد المكان بتامين الهجرة من وإلى المغرب[14].

أما المعاهدة السرية التي أبرمت في نفس اليوم فتكونت من (16) مادة وتعد ملحق بالمعاهدة الرئيسية، وتضمنت حقوق وامتيازات للملك أبي عبد الله الصغير وأفراد أسرته وحاشيته؛ منها المحافظة على الأملاك التابعة له في بلاد برجه وولاية مرشانة ولوشار واندرش وارجبه وغيرها من المناطق الواقعة في ضواحي غرناطة، والقلاع والحصون المنتشرة على الساحل، بحيث يكون ملكاً له ولأفراد أسرته وحاشيته[15]، وفي نفس اليوم الذي تسلم فيه الإسبان

---

(11) مصطفى، دريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (من القرن 7-10هـ/13-16م)، ط1، 2014، ص 255

(12) المصدر نفسه، ص 256-269.

(13) طه، عبدالواحد، حركة المقاومة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م، ص9

(14) مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية، ص 255-269.

(15) عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 244

غرناطة نقض الملكان الكاثوليكيان بنود المعاهدة، فقد أمرا بحرق مليون ونصف المليون كتاب ديني عربي للمسلمين لإبعاد المسلمين عن دينهم ومصادر عقيدتهم[16].

ثانيا) مصطلح الموريسكيون في المصادر والمراجع التاريخية:

يفتقر موضوع الموريسكيون والحديث عن مأساتهم إلى قلة المصادر التاريخية، ويعد كتاب "أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر"، والذي ألف بعد سقوط الأندلس بحوالي 50 سنة لمؤلف مجهول يعتقد أنه من أشراف غرناطة المصدر الوحيد الذي تحدث بشكل واضح عن مأساة الموريسكيون، وإن نقص الرواية الإسلامية وضعفها في الحديث عن مأساة غرناطة يعود إلى أمرين: الأول: انحطاط الحركة الفكرية والأدبية أثناء فترة السقوط والانحلال، والثاني: وهو الأرجح فقدان معظم الكتب العربية والوثائق التي وضعت في تلك الفترة بسبب الارهاب الشامل من قبل السلطات الإسبانية[17].

1- عنصر تحديد مصطلح المورسك في المعاجم:

ويطلق مصطلح الموريسكيون على المسلمين من أصول إسبانية والذين تم تعميدهم قسراً بموجب مرسوم ملكي مؤرخ بتاريخ 1502/2/14م[18]، كما يطلق لفظ موريسكيون (Mauresque) على المغاربة السود والمسلمين الذين تنصروا واندمجوا في المجتمع الإسباني[19]، واطلق البعض الموريسكيون على العرب المتنصرين[20].

وتسمية الموريسكيون موجودة قبل بداية القرن السادس عشر الميلادي، حيث تعود إلى عام 1463م إذ اطلق الإسبان على المسلمين اسم (مورس)، والمسلمين المتنصرين اسم (موريسكوس)[21]، في حين يطلق على العرب والمسلمين الأندلسيين داخل إسبانيا بعد سقوط غرناطة اسم الموريسكيون أما خارج إسبانيا فاطلق عليهم لفظ الغرباء أو أندلسي[22].

ويرى البعض أن مصطلح الموريسكيون يطلق على المسلمين، والاقليات غير المسيحية الأخرى التي حاولت البقاء في الأندلس تحت الحكم المسيحي بعد سقوط غرناطة بيد الإسبان سنة 1492م، وأُطلق مصطلح المسيحي الجديد على الموريسكيون، بينما أُطلق اسم المدجنين على الذين إجبروا على التنصير في قشتالة واراغون، وبعد عام 1500م بدأ التنصير الجماعي ليشمل الجميع؛ وقد اطلقوا عليهم اسم الموريسكيون[2].

---

(16) حتامله، محمد عبده، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، دراسة شاملة، ط1، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 2004م، ص 288

(17) عنان، المصدر نفسه، ص 308 -309

(18) الشعلان، أسامه فؤاد، الموسوعة الجغرافية المصغرة، 2015

(19) مظهر، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، ص 23.

(20) عنان، المصدر نفسه، ص 308.

(21) شلباية، محمد محمود بدر، الثورة الموريسكية 1568م أسبابها ونتائجها، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2008م.

(22) رزق، محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 -17م، ط 3، دار إفريقيا الشرق، 1989م، ص 25؛ وانظر عدة، محمد أحمد، الموريسكيون- الشتات المسكوت عنه منذ سقوط غرناطة، جريدة هسبريس المغربية، 2013م.

(2) انطونيو، دومينغيث اورتيث، بيرنارد فاسون، تاريخ الموريسكيون، حياة ومأساة أقلية، ترجمة: محمد بنياية، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، 2013م، ص 20.؛ وانظر عبد المنعم، علاء، الموريسكيون في إسبانيا، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 565، الكويت، 2012م

ولا بد من التفريق بين المدجنين الذين تعود أصولهم إلى التزاوج بين المسلمين والإسبان في قشتالة وارغون والذين تمتعوا بحرية أكبر من مسلمي غرناطة بعد سقوطها وبين الموريسكيون[3]، حيث أن الموريسكين هم المسلمين الذين أُجبروا على التعميد واعتناق المسيحية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وهم مسلمو الممالك النصرانية (قشتالة واراغون ونبره – نافارا)، أما المدجنون فهم الأندلسيون الذين كان بمقدورهم ممارسة الشعائر الإسلامية في الأراضي والممالك النصرانية على مدى العصور الوسطى قبل التعميد مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، أي قبل السقوط الأخير فهم قبل الموريسكيون، ويرى البعض أن مصطلح الموريسكيون شاع في غرناطة رسميا بعد صدور مرسوم عام 1502م والذي خير المسلمون بين التنصير أو مغادرة إسبانيا، فهو يشير إلى المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية بعد هذا التاريخ حسب المصادر الإسبانية.

ونخلص إلى أن الموريسكيين هم العرب والمسلمين المتنصرين من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة والذين عاشوا تحت الحكم الإسباني بعد ارغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمان حتى أصدر الملك فيليب الثالث قراراً بالطرد النهائي من إسبانيا عام 1609م، حيث هاجر أغلبهم إلى مناطق شمال المغرب واستقروا في مدن تطوان وفاس والرباط وبعض البوادي.

ثالثا- السياسة القمعية الإسبانية اتجاه الموريسكيين:

اتبعت السلطات الإسبانية سياسة اتسمت بالصرامة مع الموريسكيين، فاصبحوا ضحية التطهير العرقي عبر التاريخ، فاجبروا على التشبه بالنصارى لتفادي العقاب او من اجل السماح لهم بالهجرة إلى المغرب أو العالم الجديد[23]، ووضع الحكام ثلاثة تصورات اتجاه الموريسكيون في إسبانيا وهي: عملية التنصير، والابادة الجماعية، والطرد النهائي في حال فشل التنصير. وبعد فشل عملية التنصير واستحالة الإبادة الجماعية استقر الإسبان على الخيار الأفضل وهو الطرد النهائي من شبه الجزيرة الايبيرية[24].

وفي البداية استخدمت السلطات الإسبانية أسلوب الوعظ والاقناع لتنصير المسلمين إلا أنها فشلت في ذلك فلجات إلى أسلوب القوة والمطاردة والعنف وتولى هذه المهمة ديوان التحقيق المقدس (محاكم التفتيش)، وتنصر الكثير من الناس اسميا تحت التهديد والوعيد حتى وصل ذلك إلى ابناء الحكام والأُمراء[25]. وكانت اسوأ هذه المحاكم تلك التي أنشئت عام 1478م وتعيين المحققين المتشددين من قبل البابا سيكستوس الرابع، فضلاً عن تسيير دوريات شرطة سرية لضمان سير عمل هذه المحاكم سيئة السمعة واظهرت هذه المحاكم سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الأمور[26]، ومع تطور الامبراطورية الإسبانية انشئت مكاتب رسمية لهذه المحاكم عام 1478م[27].

---

(3) إيبارا، ميغيل انخيل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي، ط 1، ترجمة: وسام محمد جزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005م، ص 21 -22.؛وانظر غويتيصيلو، حوار مع الكاتب الإسباني غويتيصيلو، الذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيون، الشبكة الدولية للمعلومات، الموقع: www.bassimalim.com/pictures/pdf/s

(23) اوريد، حسن، الموريسكي، ترجمة: عبدالكريم الجويطي، ط 1، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2011م، ص 9، 58؛ وانظر محمد، شابة، الموريسكيون والتنوع الإثني بالمغرب، مجلة الحوار المتمدن، المحور الدراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد 3728، المغرب، 2012م.

(24) بوتران، ايزابيل، تنصير المسلمين، إسبانيا 1491 -1609م، ترجمة وتعليق: عبد الرحيم الرحوتي، منشورات الجامعة الفرنسية، باريس، فرنسا، PUF. 2013م

(25) عنان، محمد عبد الله، الصراع الأخير بين الموريسكيون وإسبانيا، مجلة الرسالة، العدد 204

(26) Lori, Nykanen. Qween Isabella and the Spanish Inquisition 1478- 1505. Athesis in the Major Program in History, College of Arts and Humanities, University of Central florida Orlando. 2014. p 4

ويمكن تحديد ثلاث فترات لصراع الموريسكيون مع السلطات الإسبانية وهي:

- فترة تنصير المدجنين القشتاليين 1500 -1502م.
- ثورة الموريسكيين الغرناطيين 1568 -1571م.
- فترة الطرد العام والنهائي 1609 -1614م[28].

وهكذا مرّ الموريسكيون بثلاث مراحل بعد سقوط غرناطة وهي: مرحلة الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا وتميزت بمقاومة الأندلسيين وفرض التعميد الإجباري وفيها بدأت مرحلة الإسلام السريّ، ومرحلة شارل الخامس وفيليب الثاني وتميزت بمحاولة دمج الموريسكيين بالمجتمع الإسباني وفيها بدأت مرحلة الجهاد البحري ضد الإسبان، ومرحلة فيليب الثالث وفيها اقتنع الملك بفشل دمج الموريسكيين بالمجتمع الإسباني واتخاذ قرار الطرد النهائي من إسبانيا[29].

ومن السابق يتضح أن السياسة الإسبانية في ملاحقة الموريسكيين مرت بثلاث مراحل حاسمة:

1- مرحلة التنصير القسري الذي مارسته محاكم التفتيش.
2- مرحلة الاقصاء الحضاري وفيها تم القضاء على كل ما يمت للإسلام والعروبة بصلة، وطمس جميع المظاهر الحضارية العربية والإسلامية المتعلقة بالدين واللباس واللغة وغيرها.
3- مرحلة الطرد النهائي والذي اتخذ عام 1609م[30].

وبعد سقوط غرناطة اوكل الملكان الكاثوليكيان إلى الكاردينال سينروس المتعصب للمسيحية معاقبة ومطاردة المسلمين الموريسكيون بالتعميد الإجباري وهدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس وغيرها من الاجراءات القاسية بحق المسلمين[31]. وفي هذه الدراسة سوف نسلط الضوء على بعض الاجراءات التي اتخذت بحق الموريسكيون واهمها:

- فرض الضرائب على المدجنين والموريسكيون[32].
- أخذ الأطفال من سن (5 -12 سنة) وتربيتهم في المعاهد المسيحية، وزرع الحقد في قلوبهم على الإسلام والتجسس على ذويهم.
- سياسة حرق الكتب العربية والإسلامية وتولى ذلك القس سينروس في غرناطة[33].
- التهجير، حيث سمح للموريسكيين بالهجرة إلى المغرب وغيرها من البلاد والتضييق عليهم حتى صدور قرار الطرد النهائي عام 1609م[34]، وكان الهدف من ذلك إجبار الموريسكيون على نسيان ثمانية قرون من تاريخهم في شبه الجزيرة الايبيرية وسلب التاريخ العريق لهم[35].

---

(27) Clara, Steinberg- Spitz. The Inquisition in the New World, 1999.

(28) اورتيث وبيرنارد، تاريخ الموريسكيون، مرجع سابق، ص 19

(29) رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، مرجع سابق، ص 50

(30) الشعلان، الموريسكيون، مقال في منشور في مجلة الموسوعة الجغرافية المصغرة

(31) شعبان، ناديا ظافر، حي البيازين في غرناطة المواجه لقصر الحمراء تقيم فيه جماعة مسلمين خلفت الموريسكيون، مجلة الحياة، العدد 13873، 2001م، ص 21

(32) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، مرجع سابق، ص 292؛ وانظر شعبان، ناديا ظافر، حي البيازين في غرناطة المواجه لقصر الحمراء تقيم فيه جماعة مسلمين خلفت الموريسكيون، مجلة الحياة، العدد 13873، 2001م، ص 21.

(33) حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة، ط1، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 2000م، ص 671 -674.

(34) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 696

- التنصير القسري، حيث كان اكراه الاهالي على التنصير في غرناطة ذريعة لإنشاء محاكم التفتيش فيها[36]، ويعد اسلوب التنصير من الأساليب التي اتبعها الغرب الاوروبي قديما وحديثا حيث استخدموا في البداية أساليب الحجة والاقناع لكنها فشلت فعمدوا إلى أساليب العنف والمطاردة لتنصير المسلمين[37]، وبالرغم من اعلان هؤلاء الموريسكيين انهم نصارى وتحولوا إلى المسيحية إلا أن الإسبان لم يعتبرونهم مواطنين من الدرجة الاولى بل كان ينظر لهم باحتقار وازدراء في جميع الأحوال[38]، واستمرت عملية التنصير هذه قرابة قرن من الزمان من عام 1491 -1609م إلى حين صدور القرار الملكي بطرد أكثر من 300 ألف نسمة من الموريسكيون المتنصرين خارج إسبانيا[39].

ومما سرع في عملية التنصير لمسلمي الأندلس (الموريسكيون) التعصب الشديد الذي اتسمت به الملكة الكاثوليكية إيزابيلا وارتباطها القوي بعلاقات مع رجال الكنيسة، حيث صدر قرار سنة 1500م بإرسال الرهبان والكهنة والقساوسة إلى غرناطة للتبشير بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي، وإذا لم يتم ذلك طوعا سيتم استخدام الاسلوب القسري والعنف والمطاردة، وكان من اشد الرهبان المتحمسين لذلك الراهب خميس (سيسنروس) مطران طليطلة والذي ارتكب ابشع المجازر والمذابح بحق المسلمين[40]، وكانت اشهر مراكز التنصير في مدن بلنسية وارغون وغرناطة[41].

1- محاكم التفتيش:

تاريخيا يرجع بداية وجود محاكم التفتيش إلى عام 1000م في فرنسا وكان الهدف من انشائها ملاحقة الهراطقة والخارجين على الدين، وأطلق عليها عام 1233م اسم الديوان المقدس[42].

ويتكون الهيكل الإداري لمحاكم التفتيش من: المحقق العام، ومجلس محكمة التفتيش والذي يتابع شؤون الديوان المقدس ويسدي المشورة للمحقق العام، والمحققون حيث يوجد في كل محكمة محققان اثنان، والمدعي العام الذي يعد عنصر أساسي في المحاكم فهو المقرر على ضوء التهم الموجهة للمتهم ويرفع محضر الاتهام ويقوم بوظائف استجواب الشهود ولا يشترك في اصدار الحكم، وصغار الموظفين مثل الكتاب والمحررين وموظفي الديوان، والموظفين المتطوعين وهؤلاء على شكل مستشارين واصدقاء للكنيسة[43].

وبشكل عام يتكون هيكل محاكم التفتيش من مجلس أعلى لتنسيق أعمال المحاكم في مختلف مناطق البلاد الأندلسية ومقره البلاط الملكي ويخضع لأوامر الملك ويجتمع يومياً ما عدا يوم الأحد. وتشمل الهيكلة العامة لمحاكم

---

(35) الحوار مع الكاتب الإسباني غويتيصيلو بذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيون، الموقع: www.bassimalim.com.

(36) طه، عبد الواحد ذنون، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 24، 36.

(37) بكرلي، عبد الرزاق ديار، تنصير المسلمين، بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري، ط 1، دار النفائس، الرياض، السعودية، 1989م، ص 21

(38) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 694 -695.

(39) بوتران، ايزابيل، تنصير المسلمين، إسبانيا 1491 -1609م

(40) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، ص 289 -290

(41) شلباية، الثورة الموريسكية 1568م

(42) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، ص 785 -791

(43) بييريز، جوزيف، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش في إسبانيا، ط1، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، 2012م، ص 131 -153

التفتيش على قسمين: قسم القلم السري والذي يقوم بإجراءات التحقيق واصدار الأحكام على المتهمين، وقسم الشؤون المالية ويختص بالواردات واوجه انفاقها، ويرتبط الجهاز الاداري للمحكمة بالمفتش العام المشرف على المحاكم وهو بمثابة وزير داخلية ويوازي رئيس الهيئة القضائية في يومنا هذا، ويتمتع بامتيازات خاصة ويساعده عدد كبير من الموظفين(44).

انشئت محاكم التفتيش لضمان سلامة العقيدة المسيحية الكاثوليكية من اولئك الذين تحولوا من الإسلام واليهودية إلى المسيحية، ومن أجل تكثيف ايمان المتنصرين بعد مرسوم الحمراء الصادر عام 1492م ومرسوم 1502م، حيث طلبت هذه المحاكم من المسلمين واليهود التحول إلى المسيحية او مغادرة الاراضي الإسبانية، واستمرت هذه المحاكم في عملها حتى قرار الغاؤها نهائيا في إسبانيا عام 1834م في عهد الملكة إيزابيلا الثانية. وكانت هذه المحاكم تتبع للديوان المقدس في إسبانيا والتي يرأسها مفتش عام لأعضاء هذه المحاكم وبلغ عددها في ذلك الوقت حوالي 21 محكمة موزعة على مختلف المناطق والمدن(45).

ومن المعروف أن محاكم التفتيش لم ترحم طفلاً أو شيخاً أو امرأة من البطش وأساليب التعذيب المختلفة، واصبح هدفها الأساسي إبادة المسلمين، إذ يتحدث المؤرخون الغربيون بإيجاز لتجنب الحديث عن وقائعها السوداء معتبرين ما حصل هو خطأ بعض القساوسة مع أنه لا يمكن ازالة ذلك من ذاكرة التاريخ العالمي(46).

وبين عامي 1478 -1502م اتخذ ملكا إسبانيا فرناندو وإيزابيلا ثلاثة قرارات مهمة وهي: إنشاء محاكم التفتيش بترخيص من البابا والكنيسة الكاثوليكية، وطرد اليهود، وإجبار المسلمين في مملكة قشتالة على اعتناق الكاثوليكية، حيث قام الكاهن توركيميادا بتنظيم محاكم التفتيش الإسبانية بدءاً من ارغون ثم في بقية المناطق الإسبانية(47).

لم تقف السياسة الإسبانية اتجاه الموريسكيون عند التهجير والتنصير القسري، بل لجات إلى استخدام العنف واساليب التعذيب المتنوعة مثل الحرق والاعدام شنقاً، وبدأت اول محاكمة في هذه المحاكم حينما صدر حكم على 16 شخصا بالإعدام حرقاً، وخلال فترة 8 سنوات احرق حوالي 700 شخص، كما اجبرت محاكم التفتيش المسلمين (الموريسكيون) على الزواج من النصارى ذكوراً وإناثاً، وصدر الكثير من القرارات الملكية التي تهدف إلى التضييق على المدجنين والموريسكيين في الأندلس مثل منعهم من الاختلاط بغيرهم من المسلمين(48).

وامام هذه الأساليب القمعية والتعسفية مارس المسلمين شعائرهم الدينية سراً متظاهرين بالمسيحية تفاديا للعقاب من قبل محاكم التفتيش، ومع ذلك فقد تنصر حوالي 500 ألف أندلسي بعد قرار التنصير عام 1502م الذي اصدرته الملكة إيزابيلا، كما اصدر الملك فرناندو مرسوم عام 1508م يمنع استخدام اللغة العربية واقامة الشعائر الدينية الإسلامية ومنع ارتداء الملابس التقليدية للموريسكيون ومنع جميع العادات والتقاليد العربية والإسلامية(49).

---

(44) حتاملة، المصدر نفسه، ص 796 -797

(45) الشبكة الدولية للمعلومات(الإنترنت)

(46) قصة الإسلام، محاكم التفتيش أسوأ الحقب الدموية بحق المسلمين، الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)

(47) الجنابي، عامر عجاج، وآخرون، العلاقات السياسية بين بين سلطة غرناطة والدولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 13، جامعة بابل، أيلول 2013م، العراق، ص 492 -493

(48) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، ص 293 -300

(49) طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص 36

وفرضت محاكم التفتيش الرقابة على حياة الموريسكيون الاجتماعية كالأعراس وصيام شهر رمضان وختان الاطفال وحتى النبش عن المصاحف والكتب العربية والمخطوطات في الجدران[50]، ومراقبة كل ما يدل على التمسك بالدين الإسلامي كالوضوء والبسملة عند ذبح الحيوانات والدواجن وصيام رمضان او القيام للسحور أو الاحتفال بالأعياد الدينية أو غسل الموتى وتكفينهم او الزواج على المنهج الإسلامي أو ذكر النبي محمد (ص) وغيرها من الاقوال والافعال التي تدل على إسلامهم[51].

اما أساليب التعذيب التي اتبعتها محاكم التفتيش بحق الموريسكيون فهي متنوعة وامتازت بالبشاعة، نذكر منهاك فسخ الفك، وملء البطون بالماء حتى ينفجر بطن الضحية أو الدفن للضحية وهو حي، وربط النساء إلى جانب القبور بعد تعريتها حتى تجنّ أو تموت[52]، والحبس في غرف مظلمة تحت الارض، والربط بجنازير الحديد والضرب بسوط من الرصاص، وسحابات لتمزيق جسد الضحية وعضاضات حديدية واكاليل حديدية ذات مسامير لتطويق جبهة الضحية بحيث يتم تضييقها على رأس المتهم، والكلاليب الحديدية لانتزاع اثداء النساء، وآلات لسحب أو سلّ اللسان وآلات لتكسير الأسنان، وأحذية حديدية تحمى بالنار ويجبر المتهم على المشي فيها، ومشانق معلقة في السقف، واثقال حديدية معلقة في السقف لضرب المتهم يمينا وشمالا، وتابوت حديدي على شكل خزانة في بابها ست حراب وعند اغلاق بابها تدخل الحراب في جسد الضحية فيموت، ودواليب لطي الجسم، وصلب الضحية، وسحق الرأس، والإغراق في الماء بشكل تدريجي، وحرق القدمين، وشد الأطراف بحبال في مختلف الاتجاهات حتى يتمزق جسد الضحية وأسواط تنتهي اطرافها بحديد مشوّك، وكلاليب لنزع اللحم عن العظم، وقدور حديدية لغلي الماء والزيت الحار، والمجادل الحديدية والدواليب والاثقال والكماشات والحرا ب والمكاوي، والمواقد لإحماء الحديد، والحرق الجماعي وغيرها. وبشكل عام كانت اساليب التعذيب في إسبانيا اسوأ منها في البرتغال وامتازت بقوة التجسس على المواطنين.

2- المراسيم الجائرة على الموريسكيين ونتائجها:

صدرت العديد من المراسيم الجائرة بحق الموريسكيين منذ اليوم الأول لتسليم غرناطة، فقد صدر أمر بحرق مليون ونصف المليون كتاب ديني وعربي للمسلمين وابعادهم عن مصادر عقيدتهم. وفيما يلي أهم المراسيم الجائرة التي اصدرها ملوك الإسبان بحق الموريسكيين:

- مرسوم خاص بالذبائح: وفيه يمنع ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية وانما يذبحها جزار مسيحي
- مرسوم خاص باللباس: ويمنع المسلمون من ارتداء الملابس العربية التقليدية بحيث تكون على النمط الإسباني ومنع المسلمين من ارتداء الملابس الحريرية والفاخرة.
- مرسوم خاص بالزواج: بحيث يكون زواج الموريسكيين في الكنيسة مع إجبار الموريسكيين على الزواج من النصارى.
- مرسوم خاص بالزيارات: وفيه يمنع اختلاط الموريسكيين في غرناطة مع بقيه مدن الأندلس.
- مرسوم خاص ببيع الممتلكات والعقارات: حيث لا يجوز بيع هذه الممتلكات الا بإذن الكنيسة، ثم منع البيع حتى يتم مصادرتها.

---

(50) عدة، محمد احمد، الموريسكيون- الشتات المسكوت عنه منذ سقوط غرناطة

(51) كارديلك، لوي، الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون، ط 1، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطابع الجامعية – الجزائر، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1983م، ص 114-115

(52) السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 696

- مرسوم يمنع الكتب العربية: وينص على تسليم الكتب والمخطوطات العربية الإسلامية للدولة، حيث تحرق الكتب الدينية، والاخرى يتم استرجاعها بعد ترخيصها.
- مرسوم خاص بمنع الأسلحة: يمنع الموريسكيون من اقتناء السلاح وحمله ومن يخالف ذلك تصادر ممتلكاته أو يعدم.
- مرسوم خاص بالإرث: يكون تقسيم الممتلكات على الورثة وفقا للطريقة الإسبانية.
- مرسوم خاص بالتعاون مع مسلمي شمال إفريقيا، حيث إن كل موريسكي يثبت تعاونه مع المجاهدين يعدم أو يحرق.
- مرسوم خاص بالهاربين من مملكة غرناطة: حيث كل مسلم يهرب تصادر ممتلكاته.
- مرسوم خاص بممارسه الشعائر الإسلامية والملتحقين بالثوار: وينص على أن كل موريسكي متنصر يمارس الشعائر الإسلامية سراً أو جهراً أو يتعاون مع الثوار في الجبال يصدر بحقه اشد العقوبات([53]).

وكان من نتائج هذه المراسيم مصادرة الكثير من الممتلكات باستخدام التهم الكاذبة، وطمس عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي وحظر الأسماء العربية والإسلامية في كل شيء، كما نجم عن هذه المراسيم ظهور جمعيات تبشيرية وغير تبشيرية تدعم الحكومة الإسبانية مثل (جمعيات الخيرمانيا) والتي تأسست عام 1519م والتي كانت تقاوم الموريسكيون مثل محاكم التفتيش([54])، وكان للمراسيم الصادرة الدور البارز في الزام الموريسكيون بالزي الإسباني وطمس معالم الدين الإسلامي والقضاء على اللغة العربية.

وظهور اللغة (الالخميادية)([55]) لإخفاء مظاهر التدين والعادات والتقاليد الأمر الذي اضعف قوة الموريسكيين والانصهار في المجتمع الإسباني، وبالتالي لم يعد نظام الارث الإسلامي موجود مما دفع الكثير منهم إلى الهجرة بأعداد كبيرة خارج إسبانيا[(56)].

لقد اثرت هجرة الموريسكيين على الأوضاع الاقتصادية في إسبانيا خاصة بعد فشل الثورات التي قامت ضد الإسبان ومما زاد من مشكلة الاقتصاد الإسباني الطرد الجماعي للموريسكيين عام 1609م، حيث انهار الاقتصاد وتدهورت الصناعة والزراعة وأعلنت الحكومة الإسبانية افلاسها أواخر عام 1596م للمرة الثانية، فقد كان الموريسكيون يتمتعون بخبرات واسعة في مجال الزراعة والصناعة والحرف المختلفة فضلا عن الموروث الحضاري العلمي والأدبي والايدي العاملة الماهرة حيث انخفض الانتاج بشكل كبير بعد طردهم، والدليل على ذلك لجوء الكنيسة والحكومة الإسبانية إلى الاستعانة بخبرات الموريسكيين في التغلب على الجفاف في مدينه المرية سنه 1537م، فضلا عن خسارتهم ذوي الخبرات من الاطباء والرقيق الموريسكيين الذين اصطحبوهم في رحلاتهم إلى العالم الجديد، كما خسر الإسبان الموروث الثقافي من الكتب والمؤلفات و المخطوطات التي أحرقت وفنون الادب والعمارة وغيرها[(57)]. وكان الازدهار الذي تحقق بالأندلس ناجم عن الاختلاط بين العرب والنصارى في بداية الحكم الإسلامي للأندلس، وكذلك التزاوج حيث ذاب العنصر العربي في العنصر الايبيري والذي نتج عنه إسبانيا الإسلامية حاملاً خصائص

---

(53) السرجاني، قصه الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 696.

(54) حتامله، الموريسكيون و محاكم التفتيش في الأندلس، ص 816_819.

(55) هي اللغة القشتالية (العجمية) المحرفة من قبل الموريسكيون والتي ابتدعوها للتموية على اقامة شعائرهم والحفاظ على آدابهم ولغتهم وهي لغة اسبانية مكتوبة بحروف عربية.انظر: الحسيني، قصي عدنان، الشعر الموريسكي، الاصول والموضوعات، نماذج مختارة (نصوص شعرية، أغراض شعرية)، مجلة آداب المستنصرية، العدد 76، 2016، ص 273.

(56) حتامله، المصدر نفسه، ص 825 -832

(57) عودة، نهى، الأندلسيون الموريسكيون مرو من هنا، مقاله طريق الخلاص، 2015م. موقع اندلسي: ttp://andalushistory.com

العرب والبربر والإسبان[58]. ولكن مأساة السقوط أدت إلى تشتت هذه القوى المؤثرة حتى أن اشراف غرناطة وأغنياءها قاموا ببيع املاكهم للنصارى وهاجر هؤلاء الأندلسيون إلى بلاد المغرب وهم الذين عمروا مدينه تطوان في المغرب[59].

أما مصير الموريسكيين فبعد صدور القرار الملكي عام 1609 م والقاضي بنفي الموريسكيون إلى المغرب وغيره من البلاد حشدت السفن لنقلهم، ونزح سكان الشمال نحو فرنسا وهاجر سكان الوسط والجنوب نحو شمال إفريقيا وبلاد الشام وتركيا والبعض الآخر ذهب إلى العالم الجديد[60]، وكانت أولى هجرات الموريسكيين من قرطبة إلى منطقه بالقرب من فاس وسميت هذه المنطقة عدوة الأندلس (عدوة الأندلسيين) والى منطقه عدوة القرويين. ولا شك أن المغرب استفاد من المد الحضاري بسبب توافد الحرفيين والصناع الأندلسيين ومن فنون العلوم المختلفة فضلا عن العلماء والمفكرين والفلاسفة وغيرهم[61].

وهكذا ترك الموريسكيون حضارة لا يستهان بها قبل طردهم، فقد كان حي البيازين مكان تجمعهم في غرناطة إلا أنهم طردوا عام 1571م بعد الثورة الموريسكية الكبرى ولا تزال بيوتهم قائمة حتى الآن بآثارها الأنيقة[62].

3- أعداد المورسكيين.

كان التجمع الكبير للموريسكيين في غرناطة بعد توالي سقوط المدن الأندلسية بيد الإسبان النصارى، وفيما يخص عدد السكان الموريسكيين فليس هناك إحصائيات دقيقة عن ذلك العدد، ولكن يمكن تقدير عدد السكان في غرناطة بحوالي 160 ألف وهذا في المناطق التي توفرت عنها إحصائيات، أما اذا قدرنا المناطق السكنية التي تفتقر إلى الدراسات فان سكان مملكة غرناطة قارب 300 ألف نسمة عام 1500م، وبلغ عدد مدجني مملكة قشتالة من 20- 17 ألف نسمة عام 1521م، وكان السبب في انخفاض عدد السكان الهجرة الجماعية التي حدثت عام 1512م[63].

وتشير توقعات أخرى إلى أن عدد السكان الموريسكيين حوالي 700 ألف منهم 600 ألف تم نفيهم و 100 ألف هلكوا اثناء النفي وهي أدق التوقعات[64]، ويقدر عدد الموريسكيين الذين بقوا في غرناطة بعد الطرد النهائي عام 1609م حوالي 143 ألف نسمة[65].

ووفق بعض المصادر العربية والغربية فإن الموريسكيين تلقوا المعاملة السيئة بعد هجرتهم حيث تعرضوا للنهب والسلب والقتل على يد القبائل العربية في وهران وتلمسان وغيرها وتشير بعض المصادر إلى أن البعض بقرت بطونهم للبحث عن المجوهرات والذهب[66].

---

(58) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 311

(59) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 -756م)، .ط4، دار الإرشاد القاهرة، مصر، 2008 م، ص 398 -399

(60) حتامله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش، ص 902

(61) رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص 29 -38

(62) شعبان، حي البيازين في غرناطة المواجه لقصر الحمراء تقيم فيه جماعة مسلمين خلفت الموريسكيون، ص 21

(63) حتامله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش، ص 332 -337.

(64) حتامله، المصدر نفسه، ص 902

(65) حنفي، هلايلي، الأندلسيون في فكر أحمد المقري (أزهار الرياض ونفح الطيب أنموذجاً)، جامعة سيدي بلعباس، Reveu, Academique Specialisee dan les sciences Islamiques et Humaines. 2004، العدد 16، ص 120 -121.

(66) مظهر، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، مرجع سابق، ص 22 -23. وأنظر أيضاً: Lori, Nykanen. Qween Isabella and the Spanish Inquisition 1478- 1505. p 18.

ويقدر بعض المؤرخين عدد الموريسكيين الذين عذبوا بعد سقوط الأندلس بثلاثة ملايين نسمة بالقتل والحرق والتهجير القسري. أما الذين بقوا منهم فتحولوا للعمل في الزراعة والصناعة والتجارة، واضطر من بقي من المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة إلى البلاد الإسلامية أن يتنصروا وعرفوا بالمدجنين ومع ذلك بقيت السلطات تعاملهم معاملة سيئة نتيجة الشك في تنصرهم فعوملوا كالعبيد والرقيق تحت حكم الإسبان.

أما التوزيع الجغرافي لأعداد الموريسكيون فقد بلغ عددهم في مملكة اراغون تقريبا 200 ألف شكل المسلمون منهم 34%، وفي مملكة قشتالة 250 ألف من إجمالي السكان البالغ عددهم 7 مليون نسمة، وفي مملكة غرناطة كان المسلمون يشكلون أغلبية السكان حتى عام 1568م حيث اجبروا على الهجرة إلى مناطق اخرى في قشتالة وغيرها من الممالك النصرانية، وعند الطرد النهائي كان عدد الموريسكيون أقل في غرناطة مقارنة مع بقية المناطق في شبه الجزيرة الايبيرية بسبب تشتيتهم من قبل السلطات، وبعد التشتيت تركز المسلمون في الأندلس الشرقية وبلنسية واراغون وفي الريف الأندلسي الشرقي والمدن الساحلية في الشرق، وانخفض عدد الموريسكيون بسبب الهجرة الجماعية خلال الفترة 1502 -1512م.

4- ردود فعل الموريسكيين على هذه السياسة:

اما ردة فعل السكان الموريسكيون اتجاه السياسة الإسبانية فلم يقفوا مكتوفي الايدي، فقد مارسوا شعائرهم الدينية بسرية وتمسكوا ببعض العادات والتقاليد بخفية عن محاكم التفتيش، ومع مرور الزمن تلاشت اللغة العربية ولم يعرفوا إلا الإسبانية وانعكس ذلك على الإنتاج الأدبي، فلجا الموريسكيون إلى كتابة أفكارهم وآدابهم بلغة خاصة جديدة تم تطويرها عرفت باللغة الخميادية لتفادي معاقبة محاكم التفتيش([67]). ومع انعزال الموريسكيين عن العالم الإسلامي كان من الطبيعي أن تتشابه الكثير من الطقوس والعادات الموريسكية مع العادات والتقاليد المسيحية الإسبانية([68])، إلا أنه في كثير من الأمور كان من الصعب الاندماج بين الحضارتين الإسبانية والموريسكية بسبب الحقد الديني والحضاري لدى الإسبان([69]).

وعندما يئس الموريسكيون من السياسة الإسبانية اندلعت الثورة الأولى من حي البيازين في غرناطة ضد الإسبان عام 1499م إلا أنها قمعت من قبل الإسبان فانتقل الثوار إلى جبال البشرات وتجمعوا وأخذوا يشنون الغارات على القوات الإسبانية واطلقوا ثورة البشرات سنة 1501م وانتهت الثورة بتوقيع معاهدة مع الإسبان وبموجبها سمح للموريسكيين استخدام اللغة العربية وممارسة الشعائر الدينية، ولكن سرعان ما نقض الإسبان هذه المعاهدة.

وفي عام 1526م انطلقت ثورة المجاهد سليم المنصور في جبال بلنسية بسبب عمليات التنصير والتعميد الإجباري وبدأت هذه الثورة من مدينة ابن الوزير في بلنسية الا انها قمعت بمساعدة الجيش الالماني للإسبان[(70)]، وتأخر النجدة التي قدمت من تونس حتى سقطت المدينة بيد الإسبان[(71)].

---

(67) بالنيثا، آنجل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ط 2، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1945م، ص 24 -25.

(68) لشبكة الدولية للمعلومات، الإنترنت، الموقع: www.ahlalhdeeth.com.2010.

(69) سنوسي، هشام، نبوءات الموريسكيين بين الحقيقة التاريخية والمغامرة اللاهوتية – مختصر القاسم الحجري نموذجا، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13 -14، جامعة جيجل، 2016، ص 71 -72.

(70) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، مرجع سابق، ص 427. وانظر ايضا: حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 675 -680

وفي عام 1568م انطلقت الثورة الموريسكية الكبرى نتيجة المراسيم الجائرة التي صدرت بحق الموريسكيين[72]، وتزعم هذه الثورة أحد أبناء حي البيازين ويدعى فرج بن فرج والذي ينسب إلى أشراف غرناطة من بني سراج، وكانت هذه الثورة قد اجلت نتيجة انكشاف أمرها ولكن وقعت حادثة أدت إلى اشتعالها إلا أن صرّامة الإسبان وتقاعس الأهالي في مساندة الثورة أدت إلى فشلها وهروب قائدها[73]. وتعد ثورة أهل الأندلس بقيادة الأمير محمد بن أمية امتداد لثورة البيازين التي بدأها القائد فرج بن فرج عام 1568م، إلا أنها اكتسبت بعداً دينياً باستلام الأمير محمد بن أمية قيادتها وأصبح لها هدف أكبر من التخلص من ظلم الإسبان، وأصبح الهدف تأسيس مملكة جديدة في غرناطة إلا أنها فشلت بسبب الخيانة بين قادتها وصفوف الثوار، ويرجع البعض السبب في فشلها إلى هزيمة العثمانيين في عام 1571م، فقد دعم الاتراك العثمانيون العرب المسلمين في شمال إفريقيا هذه الثورة وأنضم لها الموريسكيون من البشرات وجميع أنحاء مملكة غرناطة وحي البيازين وقيل أن عدد المقاتلين في صفوفها بلغ 45 الف مقاتل، ولم تكن الثورة الموريسيكية السابقة هي الوحيدة التي قامت في الأندلس فقد انطلقت ثوره من مدينه طليطلة في عهد الملك شارل الخامس واستمرت هذه الثورات خلال الفترة من 1525 -1519م وكان سبب هذه الثورات القرارات الجائرة بحق الموريسكيون والبروتستانت المضطهدين[74].

وقد ثارت العديد من البلدان ضد السياسة الإسبانية والحكم المسيحي فقد ثارت ناحية ارجبه، بوقيره، فريرا، ناحية جوبليس، ناحية سهيلين، ناحية أوخيخر، ناحية برجه، ناحية أندرش، ناحية دلاية، ناحية لوشار، ناحية مرشينة، ناحية شلوبانية، وبعض الأماكن في المرية ونهر المنصورة واستان وأراضي مركيزية الزيت وغيرها[75].

وبشكل عام يعود فشل هذه الثورات إلى خيانة بعض القادة وعدم انضمام الموريسكيين في بلاد الأندلس الاخرى للثورات، ففي الثورة الموريسكية الكبرى عام 1568م لو أنضم الموريسكيون للثورات لارتفع عدد المقاتلين من (30) ألف مقاتل إلى (100) الف مقاتل[76].

رابعا) ردود فعل المسلمين لنجدة إخوتهم المورسكيين:

لا شك أن الموريسكيون كانوا بحاجة إلى إخوتهم المسلمين سواءً كانوا في المغرب العربي أو الشرق العربي، وقد حصل تقصير من قبل بلاد المغرب العربي اتجاه إخوتهم في الأندلس حيث القرب الجغرافي وإمكانيه المساعدة والإمداد بالثوار أو المقاتلين كانت ممكنه.

ويذكر أن محنة غرناطة (المسلمون الموريسكيون) كانت أيام السلطان العثماني بايزيد الثاني ومع استنجاد أهل الأندلس به أتفق مع سلطان المماليك قاتباي سلطان مصر على مساعدة أهل غرناطة بإرسال اسطول بحري إلى شواطئ إسبانيا، وأن يرسل السلطان قاتباي جيشا من شمال افريقيا، ولكن المشكلات الداخلية لدى العثمانيين والمماليك حالت دون تحقيق ذلك. وعندما قدم وفد من أهل الأندلس إلى سلطان المماليك وشرحوا له حال المسلمين في الأندلس هدد السلطان بإجبار المسيحيين في البلاد الإسلامية على دخول الإسلام، إلا أن ملكا إسبانيا اقنعا

---

(71) الهام محمود كاظم، مشتاق بشير الغزالي، اضطهاد مسلمي الأندلس- الموريسكيين في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس)، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، العدد 20، السنة الحادية عشرة، 2017م، ص

(72) حتاملة، المصدر نفسه، ص 427

(73) عنان، محمد عبد الله، الصراع الأخير بين الموريسكيون وإسبانيا، مجلة الرسالة، العدد 204

(74) رزق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص 78 -95

(75) حتاملة، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، ص 241

(76) اروتيث، تاريخ الموريسكيون، حياة ومأساة أقلية، ص 71

السلطان المملوكي بأنّ المسلمين بالأندلس بخير ويمارسون كامل حريتهم. كما استنجد المسلمون في الأندلس بسلاطين المغرب ولكن مشكلاتهم الداخلية والثورات حالت دون مساعدتهم، بل هاجم الإسبان شواطئ المغرب[77].

ويرى بعض المؤرخين أن استنجاد الأندلسيين بالعثمانيين جاء متأخرا فقد وجهوا انظارهم في البداية إلى بلاد المغرب والمماليك وعدم تلبيه دعوتهم لجأوا إلى العثمانيين، وقد استخدم اهالي الأندلس الشعر والخطابة والكتابة للتعبير عن استنجادهم بالأمة الإسلامية لكن دون جدوى[78]. إلا أن العثمانيين ساعدوهم أثناء ثوره 1568م حيث اشترك الجنود الاتراك إلى جانب الموريسكيين[79].

والحقيقة أن دور المسلمين في نجدة اخوانهم المورسكيين لم يكن بالمستوى المطلوب، ولعل السبب في ذلك يعود لحالة الضعف التي اصابت الجسد الإسلامي ابان تلك الفترة وتحالف الغرب الصليبي عليها وما كان له من نتائج فيما بعد.

الخاتمة:

خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج يمكن أن نجملها بما يلي:

- الموريسكيون هم العرب والمسلمين المتنصرين من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة والذين عاشوا تحت الحكم الإسباني بعد ارغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمان حتى أصدر الملك فيليب الثالث قراراً بالطرد النهائي من إسبانيا.
- لعب الانقسام بين الممالك الإسلامية في الأندلس دورا رئيسا في انتهاء الحكم الاسلامي هناك وسقوط تلك الممالك واحدة تلو الاخرى.
- بقيت غرناطة آخر معقل للمسلمين هناك واليها التجأ ملوك وامراء الممالك الاسلامية قبل سقوطها
- شكل سقوط غرناطة نهاية للحكم الاسلامي في إسبانيا. وبسقوطها وازدادت وطأة محاكم التفتيش على المسلمين واضطهادها لهم.
- اشتملت معاهدة تسليم غرناطة على بنود ومواد مهينة ومذلة للجانب الاسلامي، واظهرت عدم وفاء للعهود والمواثيق من جانب الغرب الصليبي.
- استخدمت السلطات الإسبانية سياسة تعسفية تجاه الموريسكيين تباينت بين الوعظ والارشاد إلى التهديد والتعذيب والتنصير والتهجير.
- صدرت بحق الموريسكيين عدة مراسيم اقل ما يقال عنها انها شكلت اضطهادا وعنصرية مقيتة بحقهم.
- قمعت السلطات الإسبانية كل الثورات التي اشعلها المضطهدين، ومارست بحقهم كل اصناف التنكيل والعذاب مما دفع بالموريسكيين للاستنجاد بإخوانهم المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1- اروتيث، تاريخ الموريسكيون، حياة ومأساة اقلية، مرجع سابق، ص 121.

(77) مظهر، علي، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، ص 18 -19

(78) الشمري والجنابي، العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، ص 492 -493.

(79) دي إيتا، خينيس بيريث، الحرب ضد الموريسكيون- الجزء الثاني من الحروب الأهلية في غرناطة، ترجمة: عائشة محمود سويلم، ط1، المركز القومي للترجمة، العدد 1272، القاهرة، مصر، 2009م، ص 309

2- انطونيو، دومينغيث اورتيث، بيرنارد فاسون، تاريخ الموريسكيون، حياة ومأساة أقلية، ترجمة: محمد بنياية، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، 2013م، ص 20.

3- اوريد، حسن، الموريسكي، ترجمة: عبدالكريم الجويطي، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2011م، ص 9، 58.

4- إيبارا، ميغيل انخيل بونيس، الموريسكيون في الفكر التاريخي، ط1، ترجمة: وسام محمد جزر، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005م، ص 21 -22.

5- بالنيثا، آنجل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ط2 ، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1945م، ص 24 -25.

6- بكرلي، عبد الرزاق ديار، تنصير المسلمين، بحث في أخطر استراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري، ط1، دار النفائس، الرياض، السعودية، 1989م، ص 21.

7- بنمنصور، عبد الوهاب، الموريسكيون في الغرب، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الندوات، الندوة الثانية، شفشاون- المغرب، 1421هـ/2000م.

8- بوتران، ايزابيل، تنصير المسلمين، إسبانيا 1491 -1609م، ترجمة وتعليق: عبد الرحيم الرحوتي، منشورات الجامعة الفرنسية، باريس، فرنسا، PUF. 2013م.

9- بييريز، جوزيف، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش في إسبانيا، ط1، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات، 2012م، ص 131 -153.

10- تاجر، جاك، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، مصر، ص 140 -141.

11- الجنابي، عامر عجاج، وآخرون، العلاقات السياسية بين بين سلطة غرناطة والدولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 13، جامعة بابل، أيلول 2013م، العراق، ص 492 -493.

12- جيد، أندريه، إيزابيلا، ترجمة: صبري فهمي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1951، ص45، 120، 159.

13- حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة، ط1، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 2000م، ص 671 -674.

14- حتامله، محمد عبده، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، دراسة شاملة، ط1، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 2004م، ص 288.

15- الحسيني، قصي عدنان، الشعر الموريسكي، الأصول والموضوعات، نماذج مختارة (نصوص شعرية، أغراض شعرية)، مجلة آداب المستنصرية، العدد 76، 2016، ص 273.

16- حنفي، هلايلي، الأندلسيون في فكر أحمد المقري (ازهار الرياض ونفح الطيب أنموذجاً)، جامعة سيدي بلعباس، Reveu Academique Specialisee dan les sciences Islamiques et Humaines.2004، العدد 16، ص -121 120.

17- الحوار مع الكاتب الإسباني غويتيصيلو بذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيون، الموقع: www.bassimalim.com.

18- دي إيتا، خينيس بيريث، الحرب ضد الموريسكيون- الجزء الثاني من الحروب الأهلية في غرناطة، ترجمة: عائشة محمود سويلم، ط1، المركز القومي للترجمة، العدد 1272، القاهرة، مصر، 2009م، ص 309.

19- رزق، محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 -17م، ط3، دار افريقيا الشرق، 1989م، ص 25.

20- أبو زيد، وديع، تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط1، مكتبة نرجس للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 2005م، ص 322 -324.

21- السرجاني، راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 2011م، ص 62 -64.

22- سنوسي، هشام، نبوءات الموريسكيين بين الحقيقة التاريخية والمغامرة اللاهوتية – مختصر القاسم الحجري نموذجاً، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13 -14، جامعة جيجل، 2016، ص 71 -72.

23- الشبكة الدولية للمعلومات، الانترنت، الموقع:.www.ahlalhdeeth.com.201

24- شعبان، ناديا ظافر، حي البيازين في غرناطة المواجه لقصر الحمراء تقيم فيه جماعة مسلمين خلفت الموريسكيون، مجلة الحياة، العدد 13873، 2001م، ص 21.

25- الشعلان، الموريسكيون، مقال في منشور في مجلة الموسوعة الجغرافية المصغرة.

26- شلباية، محمد محمود بدر، الثورة الموريسكية 1568م أسبابها ونتائجها، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2008م.

27- الشمري، يوسف كاظم جغيل، والجنابي، عامر عجاج، العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية خلال الربع الاخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 13، ايلول 2013م، ص 492 -493.

28- طه، عبد الواحد ذنون، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 24 ,36.

29- طه، عبد الواحد، حركة المقاومة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م، ص 9.

30- عبد المنعم، علاء، الموريسكيون في إسبانيا، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 565، الكويت، 2012م.

31- عدة، محمد أحمد، الموريسكييون- الشتات المسكوت عنه منذ سقوط غرناطة، جريدة هسبريس المغربية، 2013م.

32- عنان، محمد عبد الله، الصراع الأخير بين الموريسكيون وإسبانيا، مجلة الرسالة، العدد 204.

33- عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 244.

34- عودة، نهى، الأندلسيون الموريسكيون مرو من هنا، مقاله طريق الخلاص، 2015م. موقع أندلسي: http://andalushistory.com.

35- غويتيصيلو، حوار مع الكاتب الإسباني غويتيصيلو،الذكرى المئوية الرابعة لطرد الموريسكيون، الشبكة الدولية للمعلومات، الموقع:.www.bassimalim.com

36- قصة الإسلام، محاكم التفتيش أسوأ الحقب الدموية بحق المسلمين، الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).

37- كارديالك، لوي، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغربيةوديوان المطابع الجامعية – الجزائر، مطبعة الاتحاد العام للشغل، تونس، 1983م، ص 114 -115.

38- محمد، شابة، الموريسكيون والتنوع الاثني بالمغرب، مجلة الحوار المتمدن، المحور الدراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد 3728، المغرب، 2012م.

39- مصطفى، دريس، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (من القرن 7 -10هـ/ 13 -16م)، ط1، 42014، ص 255.

40- مظهر، علي، محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها، المكتبة العلمية، القاهرة – مصر، 1947م، ص 14.

41- مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (756- 711م)، ط4، دار الإرشاد القاهرة، مصر، 2008م، ص 398 -399.

42- الهام محمود كاظم، مشتاق بشير الغزالي، اظطهاد مسلمي الأندلس- الموريسكيين) في عهد شارل الأول (كارلوس الخامس)، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، العدد 20، السنة الحادية عشرة، 2017م، ص 35 -36.

43- Clara, Steinberg- Spitz. The Inquisition in the New World, 1999.

44- Lori, Nykanen. Qween Isabella and the Spanish Inquisition 1478- 1505. Athesis in the Major Program in History, College of Arts and Humanities, University of Central florida Orlando.2014. p 4.

45- www.ar.m.wikipedia.org.

46- www.bassimalim.com/pictures/pdf/s

47- www.genealogics.org.